

بنية الشخصيات في سيرة فدوى طوقان الذاتية "مقاربة بنيوية"

The Structure of the Characters in Fadwa Touqan's Autobiography "A Structural Approach"

تلعيش فاطمة الزهرة¹، بوعيشة بوعمار²

¹كلية الآداب واللغات ومخبر اللغة العربية وآدابها جامعة عمار ثلجي الأغواط - (الجزائر)،

fz.telaiche@lagh-univ.dz

²كلية الآداب واللغات والفنون مخبر قضايا الأدب والدراسات الشعبية والترجمة - جامعة زيان

عاشور الجلفة - (الجزائر)، bouaicha74@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/06/18

تاريخ القبول: 2023/06/08

تاريخ الاستلام: 2023/04/24

Abstract:

This study deals with the structure of the characters in Fadwa Touqan's autobiography, an attempt by us to deconstruct the image of the characters in the biography, trace the way of their growth, their semantic structure, and determine their meaning in the context through their actions, words, and internal and external characteristics. These personalities differed according to time and place. Fadwa Touqan started from the ideology of belonging and the search for identity in narrating the details of her personal experience, simulating the concerns of the oppressed female self who suffered from family and political domination.

Keywords: structuralism, personality, narration, biography.

الملخص:

تتناول هذه الدراسة بنية الشخصيات في سيرة فدوى طوقان الذاتية محاولة منا تفكيك صورة الشخصيات في السيرة وتتبع طريقة نموها وتركيبها الدلالي وتحديد مدلولها في السياق من خلال أفعالها وأقوالها وصفاتها الداخلية والخارجية، وتعد الشخصيات مكونا أساسيا وعنصرا هاما في السيرة التي استطاعت به الكاتبة سرد تفاصيل حياتها وتنوعت هذه الشخصيات واختلفت باختلاف الزمان والمكان. فدوى طوقان انطلقت من إيديولوجية الانتماء والبحث عن الهوية في سرد تفاصيل تجربتها الشخصية محاكية هموم الذات المؤنثة المقهورة التي عانت التسلط الأسري والسياسي.

الكلمات المفتاحية: البنيوية، الشخصية، السرد، السيرة الذاتية.

مقدمة :

تعتبر الشخصية أحد مكونات العمل الروائي التي يقوم عليها، إضافة إلى مكونات أخرى مهمة كالحيكة و الزمان و المكان..، فالشخصية تعد العمود الفقري للقصة أو المشجب الذي تتعلق عليه كل تفاصيل العناصر الأخرى، و للشخصيات دور مهم داخل العمل الروائي فكل قصة في الواقع هي قصة شخصيات. فالشخصية من مقومات النصوص الروائية وأركانها القاعدية وقد جعلها "فورستر" الركن الثاني من الأهمية ضمن سبعة أركان (فورستر، 1994، صفحة 22). لأن الشخصية تدير الأحداث وتتحرك في الزمان وعلى المكان وتشكل بصراعاتها وتناقضاتها لب الرواية وعنصر التشويق والعقدة.

1 - مفهوم الشخصية: لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور التعريف اللغوي: "شخص: جماعة شَخَصَ الإنسان و غيره، مذكر والجمع أشخاص و شخوص ، و الشخص سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد تقول ثلاثة الحديث، الشخص: كل جسم له ارتفاع و ظهور و المراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص، وقد جاء في رواية أخرى: لا شيء أغير من الله و قيل لا ينبغي لشخص أن يكون أغير من الله" (منظور، لسان العرب، صفحة 50). اصطلاحاً: يمثل مفهوم الشخصية في التحليل البنوي: " علامة يشكل مدلولها من وحدة الأفعال التي تنجزها في سياق السرد و ليس خارجه، و لا يتعامل مع الشخصية بوصفها كائن و إنما بوصفها فاعلاً ينجز دوراً في الحياة أي بحسب ما تعمله" (بوعزة، 2006، صفحة 3)، ويقصد بالشخصية من هذا التعريف أنها دال أو علامة و مدلولها مجموعة من الأفعال التي تنجز داخل سياق الرواية وليس خارجه.

والشخصية الروائية لدى بعض النقاد الفرنسيين المعاصرين "مثلها مثل الشخصية السينمائية أو المسرحية لا تنفصل عن العالم الخيالي الذي يعتري إليه، بما فيه من أحياء أشياء، إنه لا يمكن للشخصية أن توجد في ذهننا على أنها كوكب منعزل بل إنها مرتبطة بمنظومة و بواسطتها هي وحدها تعيش فينا بكل أبعادها (مرتاض ع، 1991، صفحة 115)". ويقول "حميد الحمداني" أن "رولان بارت" في تعريفه للشخصية الحكائية أنها "نتاج عمل تألّفي" (الحمداني، صفحة 50) أي أن الشخصية لا تعلم دفعة واحدة ، وهي عمل يقوم به الروائي على مدى الرواية. وهناك من يرى أن الشخصية "اكتسبت كلمة (الشخصية) في الرواية مفاهيم متعددة بتعدد وجهات النظر الأدباء و النقاد، و لكن المعنى الشائع لها هو أنها

مجلد السمات، و الملامح التي تشكل طبيعة الشخص أو كائن حي ... و تشير إلى الصفات الخلقية و المعايير و المبادئ الأخلاقية" (زعر، 2003، صفحة 117).

2*أنواع الشخصيات: إن ارتباط الشخصيات بالأحداث يولد في كل عمل روائي شخصيات تقوم بعمل رئيسي إلى جانب شخصيات تقوم بأدوار ثانوية و منه تقسم الشخصيات إلى قسمين:

-شخصيات رئيسية (شخصيات محورية).-شخصيات ثانوية (شخصيات مساعدة).

1*الشخصيات الرئيسية (personnages principale) : يوجد من الرواية شخصيات تقوم بعمل رئيسي إلى جانب شخصيات تقوم بأدوار ثانوية، و التي لا تعني أنها شخصيات أقل أهمية، و رعاية من قبل الكاتب فالشخصية الرئيسية "هي التي تفقد الفعل و تدفعه إلى الأمام، و ليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما، و لكنها هي الشخصية المحورية، و قد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية" (سلامة، 2007، صفحة 26). إن الشخصية الرئيسية مفهومها تغير على ما كان في السابق "الرواية في مراحلها الأولى كان البطل هو المحور الأساس، و تأتي بقية الشخصيات عوامل مساعدة له" (سلامة، 2007، صفحة 26) وهذا ما نجده في القصص القديمة كالملاحم و السير و الحكايات الخرافية التي نجد فيها بطلا خارقا، يتحدى الصعاب و يجتاز جميع المخاطر بمساعدة الشخصيات الأخرى و لقد حدد "هينكل" خصائص الشخصيات الرئيسية في ثلاث: (بوعزة، تحليل النص السردى، 2006، صفحة 56)

- مدى تعقيد التشخيص: أي أنه مجموعة متداخلة و مركبة من الدوافع و الانفعالات المتناقضة، يجعلها عرضة لتغيرات حاسمة.
- مدى العمق الشخصي الذي يبدوا أن إحدى الشخصيات تجسده: أي غموض الشخصية بما يجعلها مثار اهتمام الشخصيات الأخرى.
- مدى الاهتمام الذي تستأثر به الشخصيات : و نقصد بها الشخصية التي تستأثر اهتمام السارد، ومنحها حضورا طاغيا، و مكانة متفوقة

2*الشخصيات الثانوية: secondaire personnage : وهي التي تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية، و تكون إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية و تعديل لسلوكها، وإما تتبع لها، تدور في فلكها وتنطق باسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكشف

عن أبعادها " (زعر، 2003، صفحة 132) ، فإنطلاقاً من الشخصية الثانوية يمكن الوصول إلى الشخصية الرئيسية، أي أنها وسيلة عبور للوصول إليها، من أجل الكشف عن أبعادها و تعديل في سلوكها. فالشخصية الثانوية لها دور مهم في هندسة البناء حتى وإن تنوعت بين شخصيات ذات دور كبير و مساحة واسعة في أحداث الرواية أو شخصيات دورها بسيط ومساحتها ضيقة أو صغيرة في أحداث الرواية كلاهما مهم للبناء. بالمقابل تنهض الشخصيات الثانوية بأدوار محدودة إذا ما قورنت بأدوار الشخصيات الرئيسية (سلامة، 2007، صفحة 34) " فقد تكون صديق الشخصية الرئيسية أو إحدى الشخصيات التي تظهر في المشهد بين الحين و الآخر، وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معيق له. و غالباً ما تظهر في سياق أحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكي، وهي بصفة عامة أقل تعقيداً من الشخصيات الرئيسية، و ترسم على نحو سطحي ، غالباً ما تقدم جانباً واحداً من جوانب التجربة الإنسانية (بوعزة، 2006، صفحة 57).

1-1 شخصيات سيرة "رحلة جبلية رحلة صعبة" :

1* شخصية فدوى طوقان : تعتبر فدوى الشخصية الرئيسية التي تدور جميع الأحداث والشخصيات في فضاءها ، كما كان للشخصيات الأخرى تأثيرات سلبية وإيجابية على حياتها عبرت عن ذلك بقولها " لقد لعبوا دورهم في حياتي ثم غابوا في طوايا الزمن " (طوقان، 2009، صفحة 31)، ارتدت انعكاسات أفعال الآخرين على فدوى ، فتركت أثرها في حياتها ، وتشير هذه المقولة إلى جميع الشخصيات المذكورة في سيرتها عانت فدوى في حياتها الأسرية والعائلية من الحرمان المادي والمعنوي وهذا ما زاد طفولتها قسوة ، رغم اتسام أسرتها بالثراء. افتقرت فدوى في طفولتها إلى حنان والديها فالأم أوكلت أمر رعايتها للمربية " سمرة " واعتاد الأب أن يعامل أبناءه بجفاء فمعاملة الأم جعلت فدوى في حالة نفسية معقدة " وبقيت على مدى سنوات طويلة أراني في الحلم وجهاً لوجه مع أمي حتى بعد وفاتها ، هي صامتة وأنا يغمرني شعور بالقهر المكتوم وإحساس عنيف بالغيظ والظلم ، أحاول الصراخ لأعبر لها عن ظلمي لي ولكن صوتي يظل مخنوقاً في حلقي فلا يصل إليها " (طوقان، 2009، صفحة 22). انتقل فدوى من مرحلة الطفولة إلى المراهقة جعلها تشعر بأنوثتها وتهتم بان يكون سلوكها لائقاً أمام الآخرين خاصة أن أمها كانت تزجرها باستمرار بكلمة "

كبرت" تقول "حتى صرت احسب حسابا لكل حركة أقوم بها ، هل يليق بي أن افعل هذا الأمر أم تراني كبرت ؟ (طوقان، 2009، صفحة 2)". ولأن فدوى أصبحت أكثر نضجا من ذي قبل ، فقد ازداد إحساسها بالظلم والاضطهاد ولم تجد حلا لمشكلتها سوى الموت لذلك فكرت في الانتحار ، إذ وجدت فيه وسيلة للتعبير لعقاب يوسف وسائر أفراد أسرتها، تقول " كان الانتحار هو الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أمارس من خلاله حريتي الشخصية المستلبة... لن يستطيع يوسف أو غيره من أفراد الأسرة أن يصدر علي حكما بالحياة.... سأتركهم مبللين متعذبين نادمين وهناك كنت أقف قليلا ، ماذا عن أمي؟" (طوقان، 2009، صفحة 55).

غير أن الحالة التي وصلت إليها فدوى مرضية قد تؤدي إلى الجنون ، إذ لم تعالج سريعا وتنشلها من عالمها لخاص ، فجاءت المعجزة متمثلة في شخص أخيها إبراهيم الذي أنهى دراسته في الجامعة الأمريكية ببيروت عاد إلى نابلس ، وكانت تحبه حبا شديدا لذلك وجدت في العمل على خدمته راحة كبيرة تقول " مع وجه إبراهيم أشرق وجه الله على حياتي .. كان هو الوحيد الذي ملا الفراغ النفسي الذي عانيته بعد فقدان عمي (طوقان، 2009، صفحة 59).

وفي مطلع الخمسينات ، تطورت شخصيتها الثقافية إذ بدأت تختلط بالمجتمعات المثقفة ، تجالس الأدباء وغيرهم من المثقفين تعرفت على " ياسمين زهر" ملتقى لمجموعة كبيرة من المثقفين، ففيه تعرفت على " لبيبة صباح" دكتورة في التربية " ويسرى صلاح مفتشة اللغة الانجليزية ، وعلى الفنانة التشكيلية " عفاف عرفات" والشاعر " كمال ناصر".

2*شخصية الأخ الأكبر" أحمد: تميزت هذه الشخصية بهيبة الآباء وسلطتهم ، إذ كان يرفع بينه وبين إخوته حاجزا يمنعهم من الاقتراب منه ، والحديث معه لذلك كانت علاقته بفدوى : " تغلب عليها صفة الانكماش والتهيب والكلفة، إلى جانب الصمت، والصمت لغة الغرياء ، حتى ولو جمعهم وحدة الدم " (طوقان، 2009، صفحة 101). فقد كانت علاقته بإخوته ليست بالحميمة ، غير أنه لم يمارس ضدهم أساليب الظلم والاضطهاد.

3*شخصية الأب: الأب هو صاحب الهيبة والقرار والسلطة المطلقة في البيت كلمته مسموعة لا نقاش فيها ، وفي حضرته " على المرأة أن تنسى وجود لفظة (لا) في اللغة الى حين شهادة (لا اله إلا الله) " (طوقان، 2009، صفحة 39) . من عادة الأبناء

تقليد أبائهم ، ومثال ذلك ميل فدوى الى الغناء والعزف لكن لم يسمح لها بذلك ، فاعتبرت والدها من الأشخاص الذين يبيحون لأنفسهم فعل بعض الأمور ويحرمونها على أبنائهم بقولها " كثيرا ما كان أبي يمضي أوقات راحته في الاستماع إلى أغاني فتحية وأحمد ، وأم كلثوم و الشيخة سلامة حجابي ، وكانوا من المطربين المفضلين لديه ، كنت أتساءل مادام يحب الطرب فلماذا يحرمنا من العزف والغناء ؟" (طوقان، 2009، صفحة 79). أما عن علاقة الأب بابنته ، فقد كان جافا في تعامله معها ، ومع إخوتها ، لم يترك لهم مجالا للتقرب منه ، ما جعل حضوره يبعث الضيق في نفسها تقول : " أما أبي فكان جافا ، لا يترك لي أو لإخوتي مجالا للتقرب إليه أكثر ، وقد ظل حضوره يبعث في نفسي الضيق منذ طفولتي " (طوقان، 2009، صفحة 40). شعرت فدوى أن والدها يتجاهلها ولا يكثر لوجودها : "كان أحيانا إذا أراد أن يبلغني أمرا يستعمل صيغة للغائب ولو كنت حاضرة بين عينيه كان يقول لامي قولي للبنات تفعل كذا وكذا (طوقان، 2009، صفحة 56) " ، ولما علم بنبا تعلمها نظم الشعر أشاح بيده مستخفا الأمر: "أشاح أبي بيده ، وواصل شرب القهوة المرة ، كانت حركة يده حين أشاح بها تحمل كل معاني الاستخفاف والاستهانة " (طوقان، 2009، صفحة 61). هذا ما جعل فدوى تحس باللاشيئية وازدادت الفجوة النفسية بينها وبين والدها عمقا واتساعا : " إنه لا يحمل سوى شعور الاكتراث، كأني لاشيء" (طوقان، 2009) لكنه بعد وفاة " إبراهيم" طلب منها أن تشغل مكان شقيقها في كتابة الشعر السياسي الوطني ، لكنها عجزت عن فعل ذلك ، لأنه طلب منها التحدث بلغة الأحرار ، في حين هي قابعة في المنزل أسيرة الجدران : " إذا لم أكن متحررة اجتماعيا فكيف أستطيع أن أكافح بقلمتي ، من أجل التحرر السياسي أو العقائدي أو الديني " (طوقان، 2009، صفحة 129). حيث رأت فدوى في والدها ، وأبناء عمها رمزا للسلطة الظالمة ، فلم تستطع أن تحبهم في يوم من الأيام، لكن تعاطفت مع والدها عند تعرضه للسجن أو المرض : " مرت صورة أبي في خاطري مطروحا مريضا ، مؤرقا بين جدران السجن الجلدية واكتسحتني موجة من الحزن العميق " (طوقان، 2009، صفحة 106). لما توفي الوالد سنة 1948 م ، لم تترك وفاته أثرا في نفس فدوى بل ربما كانت بداية انطلاقها وخروجها إلى الحياة : " خرجت بنت الحياة الى أمها الحياة " (طوقان، 2009).

4* **أبناء العم** : حرص أبناء عم فدوى على تتبع أخبارها وأسرتها ، وتوجيه أصابع الاتهام لها كلما تسنى لهم ذلك ، فابن عمها الكبير مزق أحد أثوابها ليس لأنه غير محتشم بل لأنه يظهرها جميلة : " لقد مزق ابن عمي الكبير فستانا كنت ارتديه ذات مساء ، لم يكن الفستان يفتقر إلى الحشمة بحال من الأحوال ، ولكن عيبه الوحيد أنه كان يكسبني مظهرا جميلا " (طوقان، 2009، صفحة 125). استغربت فدوى معاملة أبناء العم فتقول : " أما أفراد أسرة عمي فقد ظلوا منغلقيين على أنفسهم ، يرفعون بيننا وبينهم جدارا مسدودا من البرود العاطفي والصمت المطبق كما كان عبوسهم وسريتهم مثار استعراضي دائما ، وحين علموا بتعلم فدوى للشعر : " تحولوا إلى أعداء حقيقيين يعملون على قطع الطريق دون مسيرتي الجديدة " (طوقان، 2009، صفحة 133)

5* **شخصية الأم**: هي من النساء القليلات اللواتي كن يستطعن القراءة في ذلك الوقت ، تصورها فدوى بقولها : " كانت شديدة الحساسية سريعة الاستجابة لدواعي البكاء والحزن ، سريعة الانقياد إلى المرح والغناء والضحك.... ذات مزاج انبطاسي متفتح للعلاقات البشرية ، فلم تكن تقدر على التمتع بالحياة دون التواصل مع الناس " (طوقان، 2009، صفحة 24 25) وجدت سعادتها في إقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين ، أحببت الناس ، وضافت بالعزلة والانفراد لا تتقن فن التكتم فكل ما يحدث معها ومع أولادها تعلنه أمام الآخرين وهذا ما لم يكن يحدث في أسرة شقيق زوجها التي حرصت على كتمان معظم أخبارها . لأن والدتها فدوى كسائر نساء العائلة لا يسمح لهن بالخروج من البيت الا في المناسبات التي قد تجيء مرة أو مرتين في السنة ، فقد تسرب إلى حياتها خيط من الشقاء استطاعت فدوى أن تلمحه فيها ، تقول : " غير أنني كنت أحس بوجود خيط من الشقاء اللامنطور يمتد في أعماقها ، وحين كبرت عرفت مصدر ذلك الشقاء الخفي ، انه الحصار والقهر الاجتماعي المفروض على المرأة في بيتنا " (طوقان، 2009، صفحة 25) ومع أن الأم كانت مثقفة إلا أنها عجزت عن فهم نفية ابنتها لذلك لم تستطع تلبية حاجياتها النفسية مما جعل مشاعر الابنة نحوها متناقضة تقول : " كانت علاقتي بها وأنا طفلة تقوم على خليط من المشاعر المتناقضة لقد كنت أخافها وفي الوقت نفسه أخاف عليها من الموت كم كنت

أتمنى في تلك المرحلة الطفولية لو تعطيني الفرصة لكي أحبها أكثر. (طوقان، 2009، صفحة 23). حيث رأت فدوى في والدتها الجمال والرقّة ، ولم تعتبرها قاسية ومع ذلك شعرت في بعض الأحيان بأن أمها تريد أن تقتل خيالها وذلك عندما حدثتها عن المزارات ومقامات الأولياء التي ارتادتها مع علياء، وخالتها أم عبد الله ، فلا تكثرث الأم لكلامها ، وتخبرها أن هذه " خزعبلات"، كما اعتبرت أن أمها تريد أن تحرم عليها الحب لأنها كانت ترفض أن تجيبها كلما سألتها عنه حينما كبرت فدوى ، استطاعت أن تفهم الأمور بعمق أكبر وأصبحت تشفق على أمها لأنها علمت أنها مستلبة الإرادة ، لذلك اختفى الشعور المتناقض نحوها.

6*العم " حافظ " : هو رجل له هيئته وسلطته في المجتمع النابلسي ، كان يبدو لفدوى في طفولتها : "رجلا بارزا ، حاكما أو أميرا أو شيئا من هذا القبيل وكثيرا ما كنت اركض إليه في مجلسه ذاك، فيأخذني بين ذراعيه ويجلسني إلى جانبه ،" وهذا ما لم يفعله أبي معي في يوم من الأيام " (طوقان، 2009، صفحة 28) ، وعند احتفال رجال نابلس بموسم النبي موسى ، كانوا يمرون بمنزله ليهتفوا له ، وحدث هذا الأمر أيضا في الأعراس والختان وختم القران ، مما كان يبعث الفخر والاعتزاز في نفس فدوى ، فأصبحت تجد فيه بديلا عن والدها ، وفي سنة 1927 م ، توفي العم " الحاج حافظ " بالذبحة الصدرية حزنت فدوى لوفاته حزنا شديدا ، تقول : " صغفتي موته وأسقطني في الذهول ، وفي دوامة حزن شرس كان فقده أول فجيعة فقدان عرفها قلبي " (طوقان، 2009، صفحة 30).

7*شخصية الخالة : اسمها " أم عبد الله " تزوجت من رجل طيب منحها قدرا من الحرية لا تتمتع به المرأة في منزل فدوى ، فكانت تخرج للأفراح الاجتماعية وأيام النيروز وغيرها من المباحج الموسيقية ، وفي بعض الأحيان تصطحب فدوى معها ، إذ لم يكن لها أبناء ، فتمنحها من حبها وحنانها ما تمنحه الأم لابنتها ، وكان هذه الخالة وجدت في فدوى بديلا لها عن حرمانها من البنوة ، وبالمقابل وجدت فدوى في خالتها بديلا عن أمها ، وأصبحت تتردد على منزلها وتنام عندها قدر ما تستطيع وحين مرت بأزمة نفسية ، بسبب حرمانها من المدرسة ، وأصبحت تمشي وهي منحنية الظهر ، كانت خالتها هي الوحيدة التي لفتت نظرها إلى خطورة ذلك بحنو وعطف كبيرين ، تقول فدوى : "

ولقد لفت نظر خالتي الطريقة غير الطبيعية التي صرت اتخذها وأنا امشي أو اجلس ، وأخذت بحنوها المعهود ، تطلب إلي باستمرار أن ارفع راسي وامشي بقامة منتصبه " (طوقان، 2009، صفحة 55).

8*الأخ "إبراهيم" : هو شاعر مرهف الحس ، استطاع أن يلمس حاجة فدوى للعطف والحب منذ طفولتها ، وبعد وفاة عمها حافظ ، تمكن من أن يملا المكان الشاغر في حياتها ، ويقوم بدور الأب: " كان هو الوحيد الذي ملأ الفراغ النفسي الذي عانيته بعد فقدان عمي ، والطفلة التي كانت تبحث عن أب آخر يحتضنها بصورة أفضل وأجمل ، وجدت الأب الضائع مع الهدية الأولى والقبلة الأولى التي رافقتها (طوقان، 2009، صفحة 57).

تعامله مع فدوى أعطى انطباعاً بأنه معني بإسعادها ، وإشاعة الفرح في قلبها ، لاسيما عند اصطحابه لها في مشاوير تقول : "كان فرحي بتلك المغامرات الصغيرة يتميز بخلوه من توقع عقاب الأهل ، فلقد كان الخوف ينغص علي دائما أفراحي الصغيرة ، أما مع إبراهيم فقد كنت اشعر بالتححرر من كل المنغصات " (طوقان، 2009، صفحة 24) ، وتضيف : " مع وجه إبراهيم أشرق وجه الله على حياتي " لكن ظروف دراسته ثم عمله أجبرته على الابتعاد عن نابلس " (طوقان، 2009، صفحة 27)، درس في مدرسة المطراف في القدس سنوات (1919 م، 1923) ثم سافر لإكمال دراسته في الجامعة الأمريكية ببيروت وتخرج منها سنة 1929 م، فعاد إلى نابلس وفي سنة 1930 م ، عين بدائرة اللغة العربية بالجامعة الأمريكية ، وظل فيها سنتين ، عاد بعدها إلى القدس ليدرس في المدرسة الرشيدية ، عمل مراقبا في القسم العربي بإذاعة القدس وفي سنة 1941 أقيل من عمله في الإذاعة فسافر إلى العراق ليعلم في دار المعلمين الريفية فعاد إلى نابلس وفي سنة 1930 م عين بدائرة اللغة العربية بالجامعة الأمريكية ؟، وظل فيها سنتين ، عاد بعدها إلى القدس ليدرس في المدرسة الرشيدية ، ثم عمل مراقبا في القسم العربي بإذاعة القدس وفي سنة 1941 م، أقيل من عمله في الإذاعة فسافر إلى العراق ليعلم في دار المعلمين الريفية بالرسمية ، لكنه بعد شهرين عاد إلى فلسطين بسبب اشتداد المرض الذي لازمه حتى توفي سنة 1941 م ، فتميز إبراهيم على غير عادة رجال الأسرة بالجلوس مع أمه وشقيقاته ومبادلتهن الحديث ، ويحدثهن عن شؤونهن الخاصة ، وبعض

الشؤون العامة ورواية الطرائف الأدبية والتاريخية ، وهذا السلوك يدل على احترامه للمرأة ، وتعاطفه مع أمه وشقيقاته ، وحبه لهن كان بالنسبة لفدوى " ينبوع حب وحنان ، يغدق علينا من عطائه ، ويمنحنا من وقته ومساعدته إذا لزمتم المساعدة " (طوقان، 2009، صفحة 61) ، بعدما علم بمكوث فدوى في البيت قرر تعليم فدوى نظم الشعر ، فأصبحت تتخذة أبا ، أختا ، عما ، صديقا ومعلما ، وحتى عندما سافر إلى بيروت ليعمل بالجامعة الأمريكية لم يبخل عليها برسائله ليشجعها تقول : ".... خلال العامين الدراسيين اللذين قضاهما في الجامعة بيروت عشت على رسائله التي لم يقطعها عني والتي كان يوجهني من خلال سطورها ، ويشجعي على نظم الشعر ، وكتابة النثر والدراسة . " (طوقان، 2009، صفحة 78)، ورغم معارضة رجال العائلة تعلم فدوى للشعر إلا أنه كان من : " الهين إقناع إبراهيم بالعدول عما بدأه معي ، فهو مستقل التفكير ، صريح جريء، وصعب الانقياد إلى غير ما يؤمن به " (طوقان، 2009، صفحة 70) ، وأثناء إقامته في القدس ، كانت فدوى تزوره ، وتمضي في بيته مدة من الزمن فحرص على تعريفها بالحركة الأدبية في فلسطين ، وعلى بعض الشعراء مثل صديقه " أبو سلمى " إذ لم يكن إبراهيم متعصبا ولا متزمتا في تعامله مع المرأة ، بل يعلم أنها إنسانة مثله ، من حقها أن تخرج من البيت ، وتتعرف إلى الناس ، وتقيم معهم علاقات اجتماعية ، وتعبّر عن مشاعرها بحرية ، ولما كتبت فدوى قصائد غزلية ووقعتها باسم " دنانير " ومن ثم نشرها في مجلة " الأمالي " و " الرسالة " لم يعلم إبراهيم أن دنانير هي فدوى ، تقول : " لم اكتم الحقيقة ونقلها إلى صديق " أبو سلمى " فخورا بتمكن فدوى من كتابة شعر جيد ومما لاشك فيه أن نظرة إبراهيم للمرأة كانت سابقة لعصره بعشرات الأعوام.

9* شخصية نمر: كان شقيق فدوى وصديقها ، يحس بما تعانيه في حياتها ، يتعاطف معها ويهتم باهتماماتها ، كان مولعا بالشعر والموسيقى ، بالرغم من تخصصه في علم الأمراض وتكريس حياته العلمية لكتابة البحوث في موضوع تخصصه وإلقاء المحاضرات على طلابه في الجامعة الأمريكية ، تقول فدوى : " كان يحثني دائما على الاهتمام بالأدب العالمي ، وكان أول معلم تلقيت على يده بدايتي الأولى في دراسة اللغة الانجليزية " (طوقان، 2009، صفحة 88).

اتسم نمر بالذكاء وشعوره بالمفارقة القائمة بين وضع المرأة والرجل في البيت " فقد كان على صغر سنه يضيق بوضع المرأة في البيت كما أنه فيما بعد اقتنع أبي بالتحاق شقيقتي الصغرى "حنان" بكلية " شميدة " للبنات في القدس للحصول على شهادة المتركوليش الثانوية " (طوقان، 2009، صفحة 204) ، تعاطف مع المرأة وأحس بآلامها، حرص دائما على الوقوف إلى جانب شقيقاته ، ليرفع عنهن الظلم ، لكن قرارات أرباب العائلة كانت أقوى من أن يتصدى لها ، وعلى إثر الصلة الأدبية التي قامت بين الشاعر " علي محمود طه ". تركت مواقف نمر المساندة للمرأة ، أثرا جميلا في نفس فدوى لذلك وجدت فيه البديل لإبراهيم ، وتخاف عليه من الموت ، لكن حدث ما كانت تخشاه حيث توفي في حادثة الطائرة في عام 1963 م.

10* فاروق طوقان : هو ابن عم فدوى وصديقها تقول : " صديقي الحميم قبل أن يكون قريبا القريب، ظلت تربطني به أواصر المحبة منذ طفولته المبكرة " (طوقان، 2009، صفحة 156) كان فاروق يدرس بجامعة أكسفورد ، ساعد فدوى على السفر إلى بريطانيا سنة 1962 م.

11* شخصية علياء : هي بنت الجارة " أم حسن " تكبر فدوى بأربع سنوات ، لكن ذلك لم يمنعها من مرافقتها واللعب معها ، صنعت لفدوى الألعاب من مزق القماش الملونة ، وعرفت على المباحج الاجتماعية والأفراح مما جعل فدوى تقول : " أكثر أفراح طفولتي على قلة تلك الأفراح تقترن بذكر " علياء " بنت الجارة أم حسن " (طوقان، 2009، صفحة 43). شعرت فدوى أن علياء جزء من نفسها ، لذلك عندما توفيت وهي في السابعة عشر من عمرها ، حزنت فدوى كثيرا لأنها لم تستطع أن تشاركها آلام المرض.

12* المعلمة " زهوة العمد" : كان للمعلمة مكانتها الاجتماعية فهي شخصية عاملة ، قادرة على الاعتماد على ذاتها اقتصاديا ، بل في كثير من الأحيان تساعد الأب أو الزوج ماديا، لذلك كانت تنعم بقدر من الحرية لا تتمتع به المرأة غير العاملة والمعلمة هي مربية الأجيال ، غالبا ما تتسم بسعة الصدر والتسامح وقد وجدت فدوى في معلمتها هذه السمات ، تقول : " لا اذكر أن واحدة من معلماتي تركت في نفسي ذكرا جارحة أو أثرا لمعاملة سيئة على مدى السنوات القليلة التي أمضيتها في المدرسة " (طوقان، 2009، صفحة 52).

كانت معلمة فدوى المفضلة هي "زهوة العمدة" التي أحببتها كما لم تحب أحدا من أهلها وجدت فيه جمال الوجه ، والنفس إذ تقول عنها : "أحببتها كما لم أحب واحدة من أهلي في تلك الأيام ، كانت جميلة ، وجها وقواما ...أنيقة شديدة الجاذبية " (طوقان، 2009، صفحة 51)، وعندما توفيت وهي ما تزال شابة تركت وفاتها ألما كبيرا في نفس تلميذتها : " كان موت " زهوة " معلمتي الشابة ، ثاني طرقات الموت على بوابة حياتي " (طوقان، 2009، صفحة 53).

13* شخصية "الشيخة" : هي شخصية متكبرة ، متعالية ، سينة الظن بالناس، تتخذ من الدين وسيلة لفرض سلطتها على أفراد العائلة ، وعلى بعض النساء اللواتي كن يؤمن بأنها مباركة ، ومرت " الشيخة " في شبابها بتجربة زواج فاشلة إذ عادت إلى منزل والدها في السادسة عشر من عمرها.

2- شخصيات سيرة "الرحلة الأصعب" :

1- شخصية فدوى الكاتبة : بعد نكبة 1968م ، تغيرت شخصية فدوى بالكامل ، وتناست همومها الخاصة ، وأصبحت مسكونة بالهم الجماعي ، وبقضية فلسطين خاصة ، وهذا التغيير في شخصيتها لم يكن مفاجئا ، ففي سنة 1948، بدأت تشعر بالذنب لانها لم تشارك الجماعة مواقفها وهمومها ، وبدأت تلك البذرة تنمو في نفسها إلى أن جعلت شخصيتها أكثر انفتاحا واتصالا بالشأن العام ، وما زاد هذا الاتصال هو تفتيشات الاحتلال الإسرائيلي لمنازل سكان نابلس وبيت فدوى واحد من هؤلاء البيوت الواقع على سفح جبل جرزيم. فلم تعد فدوى تسعى لإثبات وجودها في الساحة الأدبية أو إثبات إنسانيتها من خلال إقامة علاقة غرامية ، لأنها وصلت إلى المكانة الأدبية التي طمحت إليها وتحولت عاطفة الحب لديها إلى أمومة تحملها لأبناء لم تتجهم ، لذلك نجدها في الجزء الأول تولي عناية كبيرة لتصوير الجانب الإنساني من شخصيتها وذلك في تعاطفها مع الفقراء، أما في هذا الجزء فنجدتها تتعاطف مع الأطفال وتخاف عليهم من الحرب ، تقول: "الأطفال هم نقطة الضعف المركزية عندي ، حبي لهم يبلغ حد الوجع ...أولئك هم أحباب الله ، فهل يتخلى عن حمايتهم؟ كيف السبيل إلى حماية هؤلاء الأطفال وكل الأطفال الآخرين من معاناة الخوف والجوع والعطش وأحوال الحرب ومآسيها". (طوقان، 1993، صفحة 9).

تكن فدوى محبة خاصة لشباب المقاومة الفلسطينية وتهتم بقضاياهم والدليل على ذلك مقابلتها سنة 1968 م ، وزير الحربية الإسرائيلية " موشيه دايان " حيث سألتها إذا كان باستطاعته فعل شيء من أجلها ، فرجته أن يعيد: " السيدة زليخة الشهابي التي أبعدها الحكم العسكري إلى عمان ، فشقيقها العجوز مريض وليس له من يرعى شؤونها سواها (طوقان، 1993، صفحة 44) " ، كما حدثته "عن السجين ولیم نصار المحكوم بالسجن المؤبد الذي يحرمون أمه من زيارته في السجن" (طوقان، 1993، صفحة 44).

لم تقتصر إنسانية فدوى على أبناء شعبها فقط ، بل امتدت لتشمل العدو ، تقول : " أني كأني إنسان سوي ، أحب السلام وأنادي بالايخاء، لكني في الوقت ذاته ارفض الاستعباد والاعتداء، إن صراع الإنسان من أجل حريته المسلوبة صراع أزلي وابدئي" (طوقان، 1993، صفحة 107)، توحى شخصية فدوى بالمسالمة والانفتاح على الآخرين وتقبل آرائهم ، تتعامل بذكاء وأسلوب حضاري مع الاحتلال ، والدليل على ذلك معاملتها المسالمة للمرأة اليهودية ، التي قالت لها في حدة وشراسة : " لن ندعكم ترفعون رؤوسكم أبدا كل عشر سنوات لا بد من ضربة نهوي بها على رؤوسكم "أبدا كل عشر سنوات لا بد من ضربة نهوي بها على رؤوسكم" (طوقان، 1993، صفحة 77).

2- شخصية " موشيه دايان " لعل من أكثر الشخصيات التي تكرر ذكرها في نص " الرحلة الأصعب " شخصية " موشيه دايان "، مع أن فدوى لم تلتق به أكثر من مرتين إلا أنها تذكره في نصها في أكثر من عشرة مواضع : صفحة 39، 38، 40، 41، 43، 44، 45، 55، 56، 57، 59، 60، 65، 94، 141. وتظهر شخصية " دايان " من خلال نص فدوى بأنها شخصية حذرة جدا ، حيث كان تعامله مع الشخصيات الفلسطينية ، لا يتم الا بحضور مستشاريه ، تقول : " تقدمنا ديان ليمضي بنا إلى غرفة الجلوس الغاصة رفوفها بالقطع الأثرية ، هناك عرفني على اثنين من مستشاريه كانا جالسين في الغرفة : ديفيد فرحي وديفيد وزخريا" (طوقان، 1993، صفحة 44).

حرص " موشيه دايان " على تضيق الخناق على المثقفين الفلسطينيين خوفا من انتشار الوعي القومي الوطني وذلك بمنعه للأسميات الشعرية ومختلف الملتقيات الفكرية ، والدليل على ذلك استدعاؤه لبعض رجالات المدينة يلومهم ويعاتبهم على عقد أمسية شعرية نشطتها فدوى: يقول: " ثم هناك تلك الشاعرة لديك والتي تكفي قصيدة من

قصاصها لخلق عشرة من رجال المقاومة " (طوقان، 1993، صفحة 39). دعت سياسته إلى الشدة في الأمر الأمنية والتسامح في المسائل المدنية تقول فدوى: "سبق أن اجتمع دايان بعدد من رجال الضفة الغربية بقصد الحوار وجس النبض من خلال تبادل الأفكار، وتتبع آراء المهتمين من أهالي الضفة بالقضية التي نعيشها وبالواقع الجديد" (طوقان، 1993، صفحة 45)، ساعد هذا الأسلوب "دايان" على معرفة ما يدور في الأوساط الشعبية وقمع أي حركة مقاومة قبل نموها، وكان دايان يرفع شعار خنق الفلسطينيين تحت الاحتلال باليد الحريية، بدلا من استعمال اليد الحديدية. (طوقان، 1993، صفحة 39) والدليل على ذلك الحديث الذي جرى بين "قذري" ابن عم فدوى و"دايان" حول مناهج التعليم حيث كان في: "نية دايان تغييرها بعد الاحتلال مباشرة لولا تصدي قذري لهذا الأمر، بحيث اقتنع دايان بحذف بعض الصفحات فقط وليس التغيير أو (التهويد الشامل) (طوقان، 1993، صفحة 43).

تعتبر شخصية "دايان" شخصية متبجحة مغرورة واخزة من الحرب وهذا ما يورده التاريخ: "وكلنا يذكر أن موشي دايان قال في سخرية وهزئ تتهكم وهو يضحك في حديث له مع صحفي بعد حرب حزيران 1967 م، عندما ذكر له الصحفي أن مصدر تسلمت من روسيا مائتي طائرة حربية، ليس مما يؤويه له مادام الذين يستعملون الطائرات عربا" (عطار، 1974، صفحة 50).

3- شخصية جمال عبد الناصر: شخصية "جمال عبد الناصر" عكس شخصية "دايان"، لأن جمال عبد الناصر اتسم بالحرص على مصلحة الشعب الفلسطيني والعربي ككل، كان همه انتزاع إسرائيل من قلب الوطن العربي، ما جعله يتمتع بشعبية واسعة لدى الشعوب العربية، كما اتسم بالتواضع حيث تقول فدوى عنه: "في بيته البسيط، المتواضع، وفي غرفة الاستقبال الخالية من أي مظهر من مظاهر الفخفة، جلست انتظر خائفة متطلعة" (طوقان، 1993، صفحة 50)، وفي سؤاله لفدوى عن الأوضاع في فلسطين رسمت له صورة شاملة لتلك الأحوال، وعن الشباب الذين يرددون اسمه ففي مختلف المظاهرات: "غير هيايين ولا وجلين من الجيش الإسرائيلي الشرس" (طوقان، 1993، صفحة 51)، علق "جمال عبد الناصر" بعض الآمال على "نيكسون" إذ توقع منه المساعدة، بتزويد العرب السلاح اللازم لحرب إسرائيل، تقول فدوى: "لقد تحدث رحمه

الله أكثر مما تحدثت بكثير ، أنه متحدث متدفق، بارع وصادق، يشدك إليه ويمتلك مشاعرك بما تلمسه من صدقه مع نفسه" (طوقان، 1993، صفحة 52).

3- شخصية " حمدي كنعان" و " قدرى طوقان " : ربطت علاقة حميمة بين " حمدي كنعان" و" قدرى طوقان" ابن عم فدوى ، امتلکا مواقف مشتركة إزاء سياسة الاحتلال ، لا يملان من الحوار مع المسؤولين اليهود من أجل المحافظة على امن الفلسطينيين والدفاع عن مواقفهم إزاء الاحتلال الصهيوني ، ويظهر هذا من خلال رد " حمدي كنعان" على " موشيه دايان" : " بلدنا تحت الاحتلال ومن حق الناس مقاومة الاحتلال " ، وكذلك بالنسبة لـ " قدرى" الذي دافع عن مناهج التعليم التي كان في نية " دايان" تغييرها لولا : " تصدي قدرى لهذا الأمر" (طوقان، الرحلة الأصعب، 1993، صفحة 43) ، وقد فوجئت فدوى بسلوكهما عندما وافقا على اصطحابها للقاء " موشيه دايان" في بيته.

4- شخصية محمود درويش تبدو شخصية صامدة متمسكة بهويته الوطنية ، يدافع بقلمه عن القضية الفلسطينية على الرغم من صعوبة الظروف المحيطة بالإقامة الجبرية ، تقول فدوى : " وفي كل زيارة كنت أجد سميح القاسم تارة ، ومحمود درويش تارة أخرى محكما بالإقامة الجبرية في البيت وتسجيل اسمه يوميا لدى مركز البوليس " (طوقان، 1993، صفحة 17) ، كانت السياسة هي الهاجس الأول الذي أرق " محمود درويش" " وسميح القاسم " ، إذ مثل الانتماء الحزبي لهما وغيرهم من الأدباء الفلسطينيين عملهم من أجل الحياة ، ومن أجل الوطن ، ومن أجل الإنسان" (طوقان، 1993، صفحة 21) ، عندما هدد" محمود درويش " بالقتل من قبل منظمة فتح ، انتقل من باريس إلى تونس وأحيط بالحراس ، ولما أراد الرجوع إلى باريس لقضاء بعض الشؤون ، اقنع الطرف الآخر بالسماح له وذلك بقوله : " لا داعي لهذا الخوف فقد اخبرني قارئ الكف بأنني سأعيش طويلا" (طوقان، 1993، صفحة 178) ، وتقول فدوى عن إنشاده للشعر : " ينشد روائع شعره ، فتعدو به القصيدة كحصان عربي أصيل ومضى في تجلياته ممتلکا قلوب مستمعيه ، كل قصيدة هي قطعة من نفسه... عصيا على الانحناء ، عصيا على الاستسلام... شاعر متدفق يملك شعره طاقة عجيبة... شاعر فلسطيني ، تنبع قوة شعره من قوة روحه المناضلة... المتشبث بحقه وبحق شعبه في الوجود والبناء" (طوقان، 1993، صفحة 178 179).

5- شخصية الأديب اليهودي : هي شخصيات عامة كذلك تعرفت عليها فدوى من خلال اللقاءات والمراسلات تقابل شخصية الأديب الفلسطيني شخصية الأديب اليهودي ، وتفرق فدوى : " بين شخصية الأديب اليهودي وشخصية الأديب الصهيوني ، فاليهودي في نظرها إنسان يستطيع أن يميز بين الحق والباطل ، لذلك فهو جدير بالتعامل معه ومحاولته في القضايا التي تستجد على الساحة الفلسطينية ، أما الصهيوني فهو شخص تخلى عن سماته الإنسانية، ولم يعد يفكر إلا بأطماعه الخاصة" (شاكر، 2002، صفحة 169).

أقامت فدوى عهدة صداقات مع بعض اليهود ، تقول : " يسرني ويسعدني أنني أتمتع بصداقتي ، وحبتي لعدد من اليهود الذين عرفتهم عن قرب " (طوقان، 1993، صفحة 103). ومن هؤلاء اليهود الشاعر " مردخاي أبي شاؤول " والفيلسوف " هربت ماركوز " والكاتب " ديفيد كروسمان " و " يهودي منوهن " أعظم عازف في العالم ، والمغنية الإسرائيلية " سي هايمان "، والشاعرة " راحيل فرحي " وغيرهم غير أننا لا يمكن اعتبارها صداقات بمعنى الكلمة ، لأنها كانت مجرد لقاءات ومراسلات مليئة بالمجاملات ليس إلا.

6- شخصيات مناضلة هي شخصيات وطنية عامة، اتخذت من الدفاع عن الوطن الى رجال فقط ، بل تحتاج إلى كل فرد من أفراد الوطن ، وبذلك شكلت المرأة المناضلة جدارتها باقتحام النضال بعد عام 1968 م، " كانت الشهيدة شادية أبو غزالة ضحية أول عمل مسلح قامت به المرأة الفلسطينية ، حين تقجر اللغم بين يديها فيما تحاول توقيته ، وبعدها سقط الكثيرات في ساحة المقاومة الشعبية الضاربة " (طوقان، 1993، صفحة 148). لم يغيب حضور المرأة الفلسطينية عن الوجود في قلب النضال منذ الإرهاصات الأولى ، سواء في المدينة أو في القرية ، تقول فدوى : " باقات من أزهار الربيع؟، صبايا يتصوفن في عشق الوطن ، لينتهي بهن المطاف إلى الاندماج في أحشاء أرضه والاتحاد بجسدها الأخضر المضمخ بالعطر الثوري ، أولئك الصبايا الضحايا ستظل أسماؤهن تشع ولن تفلت من ذاكرة تاريخ فلسطين الحديث" (طوقان، 1993، صفحة 147).

استطاعت المرأة الفلسطينية أن تنتظم في جمعيات ومظاهرات للوقوف ضد أعمال الاحتلال البشعة ، مما جعلها عرضة لقمع سلطات الاحتلال ، ولكن هذا القمع لم يستطع

تغيير المسار الذي اختارته المرأة الفلسطينية ، تقول فدوى : " كل واحدة منهم إنما هي فرد من مجموعة الشعب الفلسطيني لا ينفصل دورها النضالي عن دور الرجل المناضل ضمن هذا الشعب الحر.. للسعي إلى الخلاص والحرية وانتزاع الوطن من فمك الحوت" (طوقان، 1993، صفحة 147 148).

بعد نكبة 1967 م، تم : " تهجير الكثير من سكان بعض القرى ، قلقيلة، حبله ، زيتا ، عمواس ، بيت يالو ، بيت نوبة ، وفتحت المدن الكبرى صدرها لأولئك المهجرين ، حيث اخذ نساء المدن يمارسن نشاطهن الفعال من اجل تامين الغذاء والماء والكساء والفرش لأهالي القرى" (طوقان، 1993، صفحة 149)، وبذلك تكون المرأة الفلسطينية قد تقاسمت شرف الدفاع عن الوطن مع أخيها الرجل جنباً إلى جنب ضد الاحتلال الصهيوني.

7- شخصية وائل زعيتر : هو ممثل حركة التحرير الفلسطينية في روما ، اغتاله الصهاينة بحجة انه " خبير متفجرات مع انه رفض حمل المسدس تقول فدوى : " وائل الذي لم تعرف أصابع يديه يوماً كيف تتعامل مع القتل ، او مع المسدس ، حتى لمجرد حماية نفسه والدفاع عن حياته " (طوقان، 1993، صفحة 130)، كان مسالماً وإنسانياً ، نشاطه فكري ببعيد كل البعد عن العنف والرصاص ، مرهف الحس ، يتحسس بعمق ماسي الناس ويساعد كلا منهم بأقصى إمكانياته وطاقاته ورسالته هي " وضع الحقيقة الفلسطينية في منطقة الضوء، حيث ظلت هذه الحقيقة غائبة عن عيون الغربيين وأذهانهم ، وحيث ظلت الدعاية الصهيونية المضادة هي المسيطرة على الرأي العالمي الغربية ؟" (طوقان، 1993، صفحة 130 131). وتضيف فدوى : " كان الأكثر تفاؤلاً ، وربما الأكثر تفهما لطبيعة الصراع الإنساني في هذا العالم ، بحكم بصيرته الثاقبة ، وما فطر عليه من الهام وقدرة على فهم حركة التاريخ" (طوقان، 1993، صفحة 129)، ومن أصدقائه الذين تحدثوا عنه : " ارمينو سافولي " : " في مقال نشرته جريدة " الاونيتا " عام 1979 م، تحت عنوان : وائل زعيتر ، المفكر والمناضل ، الذي عبر بصدق عن كل ما يحيط به ، وهو الذي اختار التقشف مثل غاندي وشيغيفارا كوسيلة لحياته النضالية ، لقد كان وائل يرى تفاهة أن يعمل عدة ساعات لكسب ما ينفقه على شراء سترة لم يكن بمقدوره إلا أن يخلعها ليعطيها لإنسان أكثر منه فقراً" (طوقان، 1993، صفحة 132)، كذلك الروائي العالمي " ألبرتو مورافيا " الذي قال عن وائل :

كان وائل عالما أسطوريا بلا حدود ، كان بفقره وبساطة حياته يجعل المرء يفكر حتما بذلك العالم الغني والمعقد ... كان وائل يعرف أن يعيش خارج حدود الزمن" (طوقان، 1993، صفحة 133).

2- تواتر الشخصيات ومراتبها السردية:

2-1 سيرة "رحلة جبلية رحلة صعبة":

من الصعب على دارس أي نص قصصي فيه ما يقارب من 20 شخصية أن يتتبع مراتبها السردية وإن يعرف بدقة تواتر هذه الشخصيات في النص وعليه لا يستطيع تحديد مراتبها ما لم يحتكم إلى الإحصاء فهي تلعب دورا هاما في تحديد مراتبها ما لم يحتكم إلى الإحصاء فالإجراءات الإحصائية تلعب دورا هاما في تحديد كمية المعلومات الموظفة في المساحة الروائية والإجراء الكمي له أهميته في توجيه الأحداث وتكييف دلالتها وقد أبعدنا من الإحصاء ما يلي :

- الضمائر الدالة على الشخصيات وحتى الضمائر المعينة مثل (أنا، أنت، هو) لأنه إذا قمنا بإحصائها فإن السهو والخطأ سيزداد.

- الصفة إذا اقترنت بموصوفها.

- البذل ، لأنه والمبدل منه شيء واحد.

- أما ما اعتبرناه في الإحصاء فهو : الاسم الصريح ، أما ما يعادله مثل : السيد، الرجل ، المرأة ، الشاب ، الفتاة .

الشخصيات الرئيسية : لا نستطيع أن نأتي بمعيار يحدد رئيسية الشخصية أو عدم رئيسيتها ، فهل تتحدد بكثرة تردد الشخصية وغازة تواترها في النص أم بأهمية علاقتها بغيرها وتأثيرها بغيرها أو بتأثير فيها ؟. والحق أننا لا نستطيع بالإحصاء وحده أن نعرف ذلك إلا أننا بالإحصاء يمكن أن نؤكد ملاحظتنا عن هذه الشخصية ، كما يساعدنا الإحصاء على ترتيب الشخصيات داخل العمل السردى والملاحظة في تحديد الشخصيات الرئيسية عمل منهجي إلا أنها تظل قاصرة ، ولا تملك البرهان لإثبات صحتها ومنه ففدوى طوقان هي الشخصية الرئيسية وكان نتيجة ملاحظة تردد الاسم كثيرا وفي ترتيب الشخصيات من حيث الأهمية أبعدنا التواتر حيث أن شخصية والد فدوى كان تواتره مرتفعا إلا أن دوره في العمل السردى كان منخفضا ويأتي بعد فدوى طوقان أسرتها متمثلة في

بنية الشخصيات في سيرة فدوى طوقان الذاتية "مقاربة بنيوية"

إخوتها الخمسة : أحمد ، إبراهيم ، يوسف ، رحمي ، ونمر وعمها الحاج حافظ وخالتها أم عبد الله وقد جاءت الشخصيات الرئيسية بناء على أهميتها على بالترتيب التالي : الوالدين ، الأخ إبراهيم ، الأخ نمر ، الحاج حافظ ، أم عبد الله (الخالة) ، الشقيقة ، الأخ أحمد ، الأخ يوسف الأخ رحمي .

وهناك شخصيات تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية الوظيفية وهي : أبناء العم ، علياء (الجارة) ، فاروق طوقان .

وهناك من الشخصيات ذات الأدوار العابرة وهي : المعلمة - فخري الحجازي - وجدان - ياسمين زهران - فاروق .

وهناك شخصيات ليس لها أهمية مثل: الدكتور عبد الرحمان شقير - رجا العيسى - فيرنيش .

2-1 سيرة "الرحلة الأصعب":

الشخصيات الرئيسية : انقسمت الشخصيات في سيرة "الرحلة الأصعب" إلى عامة وخاصة فتمثلت العامة في شخصيات سياسية وأدبية وفكرية وثقافية أما الخاصة فتمثلت الشخصية الرئيسية في فدوى طوقان بشخصية ثقافية وسياسية وهي مرحلة اكتملت فيها قدراتها المعرفية والفكرية والأدبية فتناست همومها وسكنها الهم الجماعي (القضية الفلسطينية) وقد جاءت الشخصيات الرئيسية بناء على أهميتها على النحو التالي : فدوى طوقان - قديري طوقان - موشيه دايان .

وهناك شخصيات تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية الوظيفية وهي : سلمى ماضي - حمدي كنعان .

وهناك من الشخصيات ذات الأدوار العابرة وهي : جمال عبد الناصر - محمود درويش - زليخة الشهابي - وائل زعيتير - سميح قاسم - سميرة عزام

وهناك شخصيات ليس لها أهمية وهي : أنور السادات - ياسر عرفات . هريبرت ماركوز- راحيل فرحي .

الخاتمة:

تعتبر سيرة فدوى طوقان خير وثيقة مرجعية نعود إليها لمعرفة تاريخ نضال المرأة الفلسطينية وانطلاق الحركة الثقافية والإبداعية في الساحة الفلسطينية حيث استطاعت فدوى أن تقدم في سيرتها الذاتية تجربة شعورية عبرت من خلالها عن هويتها المهمشة والمقهورة من خلال محاكاتها هموم الذات المؤنثة التي عاشت التسلط الأسري والسياسي.

- ركزت فدوى في نصها السيري بجزأيه على الصراع مع الماضي الذي عاشته والذي ظهر من خلال شخصيات سيرتها.

- إن سيرة فدوى طوقان سيرة الأدب والشعر والمقاومة والصمود والكفاح في وجه العدو المحتل للأراضي الفلسطينية.

- نلاحظ أن المتميز لعنصر الشخصية في البنية السردية حيث جاءت شخصيات السيرة الذاتية في صورة مرئية ومجزأة .

- كان لعنصر الزمن وخصوصيته في السيرة تأثيرا كبيرا في انتظام الشخصية على هذا النحو بحيث عملت فدوى في تنقلاتها بين الفترات الزمنية وتفكيك الشخصيات عبر كل صفحات السيرة .

قائمة المراجع:

1* فورستر، أركان الرواية، تر موسى عاصي، طرابلس، لبنان، دار جروس برس، 1994.

2* ابن منظور: لسان العرب، جلد 7.

3* محمد بوعزة: تحليل النص السردى، تقنيات و مفاهيم- دار العربية للعلوم، ط 1، 2006،

4* عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد - دار الغرب للنشر والتوزيع، ط 1، 1991،

5* حميد الحمداني: بنية النص السردى، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 3، 2003،

بنية الشخصيات في سيرة فدوى طوقان الذاتية "مقاربة بنيوية"

*6 صبيحة عودة زعرب: غسان كنفاني - جماليات السرد في الخطاب الروائي دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006

*7 محمد علي سلامة : الشخصية الثانوية و دورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ ، دار الوفاء الإسكندرية، ط 1 ، 2007

*8 فدوى طوقان ، رحلة جبلية رحلة صعبة ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، ط4، 2009

*9 فدوى طوقان ، الرحلة الأصعب ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، ط1، 1993 م

*10 أحمد عبد الغفور عطار ، ابن مسعود وقضية فلسطين ، التاريخ- المؤامرة- القضية ، ط1، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1974م.

*11 تهاني عبد الفتاح شاکر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، دار الفارس، الأردن ، ط1، 2002